نحو وحدة العمل الإسلامي

تأليف د. محمد محمد بدري

إهـــــداء ..

إلي كل الدعاة المخلصين .. وإلي كل المسلمين ،

ليعلموا: أن قضية الفرقة والاختلاف هي القضية الأخطر في حياة المسلمين ، فيستوي في أنفسهم " وحدة كلمة المسلمين " مع إنقاذ ذواتهم من الهلاك !!

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعـد:

في غياب الوعي ؛ تتراجع المبادىء ليتقدم الأشخاص ، ويتفرق المجتمع إلى أكوام من الإقطاعات البشرية الحزبية ، التي تعمل كإسفنجة تمتص كل الطاقات وتجمدها ، فلا نري أمامنا إلا جموعاً ـ في غالبها ـ تدور حول نفسها ، وتجتمع علي اجترار إنتاج الماضي بدلاً من فرزه .. والوقوف عنده ، بدلاً من فتح آفاق للمستقبل ؛ فتتحول تلك الجموع إلي مقلدين ، يعتمدون أقوال قادتهم دون دليل أو برهان ، ويعيشون حياتهم أسري لشخصيات بعينها. إذا قالت فقولها صواب ، ومن خالفها فهو جاهل لا علم له ولا وعي !! .. فإذا قُدمت لهم فكرة " الرجل " الذي يحبونه تحت إسم " الرجل " الذي يكرهونه ، فإنهم يرفضونها ، ربما دون النظر فيها .. وهم في ذات الوقت لا يرون أن " الرجل " الذي يحبونه يمكن أن يخطيء أو يقدم الأفكار الخاطئة ..!!

، وهكذا .. تضيق مساحة الفكرة ـ عند هؤلاء ـ حتي تساوي الصفر ، فيصير الرجل مكان الحق ، ويصبح الإنسان بديلاً للبرهان ، وتنقسم الحياة في أذهانهم إلى عالمين متناقضين تماماً : الخارج والداخل .. أما الخارج فهو العدو ومصدر الخطر والشر ، العلاقة معه عدائية اضطهادية ، والموقف منه إما انسحابي تجنبي أو تهجمي تدميري .. و أما الداخل فهو الخير كله ، وهو مصدر الأمن والشعور بالانتماء ، وهو بالتالي المرجع والملاذ ..

ولا شك أن من أهم أسباب هذا الواقع الأليم أن مناهج التربية في معظم الجماعات لا تُعنى بالتربية الاجتماعية قدر عنايتها بالتربية الحزبية .. بمعنى أنها تركز على تربية وتنشئة " العنصر الحزبي " المنتمي والمطيع والمنفذ والموالي ولاء مطلقاً لقيادته الحزبية ، ولا تهتم في مقابل ذلك بتنشئة ذات " العنصر " على التواصل الاجتماعي والفكري والنفسي والثقافي مع المجتمع الأوسع .. فتكون النتيجة أن يحاول الحزبي صب الناس جميعاً في قالب واحد .. فإذا التقي غيره ؛ كان حواره معه سباقاً في الحديث ، وكأنه يقوم بتوزيع الآراء فقط ، ذلك أنه يحمل على عينيه نظارات من نوع خاص بلون معين ، فلا يرى الوجود حوله إلا بهذا اللون .. و يتعامل مع الأشياء على أساس إما " طاهر مقدس " أو " دنس حقير " ، ولا شيء بينهما ، فإذا حدث خلاف مع الآخرين ـ ولو كانوا من جماعته ـ فلا يرى أن فيهم جوانب وجوانب ، بل إما أنهم في السماء ، أو أنهم سقطوا في الهاوية .. فهو يسبح دوماً في المثالية ، ولا يدركها .. و يرى في كل الأحوال أن الحوار مع الآخر غير مجد ..!!

هذه هي حالنا.. وهذا هو واقعنا في كلمات.. ليست كلمات ناظر يهوى الحديث عما يراه ، أو يحب النظر إلى العمل الإسلامي من علٍ ويملي عليه الدروس ، ولكنها معاناة فرد من أفراد العمل الإسلامي يريد النصح له ، ويحاول مع الآخرين رتق خرق الفرقة قبل أن يتسع على الراقع ، وتنبيه إخوانه إلى خطر تلك الفرقة ليحاولوا تغيير واقعها الأليم ..

ومن هنا .. كان هذا الكتيب الذي نحاول من خلاله التأكيد علي ضرورة تجاوز " العتبة الحزبية " إلى فضاء " التيار " ، لنبدأ حركة مبرأة من العقد ، لا تشارك في انزلاق المجتمع عن قضاياه المصيرية ، ولو بمجرد تشحيم المنزلق .. حركة تبدأ بـ " نواة " الفقهاء التي تتسم بالفاعلية والحيوية ، تجذب إليها " صفوة " الفكر والتجارب و" خبرة " القدرات والإمكانات ليتكون من هؤلاء جميعاً " طليعة " تقوم بتنظيم " وسع " الأمة ـ أي طاقاتها وقدراتها المعنوية والمادية والبشرية ـ والتنسيق بينهما بما يكفل حشدها وتكاملها . دون هدر أو نقص، لتحقيق أهداف الرسالة الإسلامية عبر إنشاء المجتمع الحي الذي يدفع بالأمة الإسلامية إلي التقدم والقوة والريادة البشرية .



المبحث الأول :

في النقد الذاتي

في الملاحة يعرف قائد السفينة أنه لا يكفيه أن يقلع في اتجاه هدفه، بل يجب عليه "مراجعة " مساره على طول الطريق، فإذا عدّل مساره لتفادي الهلكة لم يشعر أبداً أنه " رجع " عن الهدف، وإنما هو يؤمّن الوصول إليه.

نبدأ بهذه الكلمات لأننا لاحظنا أنه إذا ذكرت كلمة " نقد " في بعض الأوساط الإسلامية غلب على أفهام السامعين أنها ترادف كلمة " تشهير" أو "تجريح" أو "غيبة" إلى غير ذلك من الكلمات التي تنافي الأخوة الإيمانية، وتخلخل الصفوف، بل وتفضح العورات، وتكشف ثغرات الصف أمام الأعداء!!

ومن هنا نجد أن عملية "النقد الذاتي" لمسار العمل الإسلامي عملية غير رائجة في أوساطنا الإسلامية، بل تُواجه في كثير من الأحيان بلون من (التشنج) الفكري ؟!

فهل المراجعة والنقد أمر مطلوب شرعاً ؟

نعم بكل تأكيد .. بل المراجعة والنقد الذاتي هما طريقا القرآن والسنة، ومنهج الأئمة من سلف هذه الأمة:

* **فأما القرآن والسنة:** فقد عرض القرآن كثيراً من غزوات النبي (صلي الله عليه وسلم) وصحابته من الجيل القرآني الفريد، وأوضح فيها الأخطاء والتقصير على المستوى الفردي والجماعي.

– ففي أحد: كانت الجماعة المسلمة تعاني آلام الهزيمة، وبينما هي في المحنة نزلت آيات القرآن، لا لتبارك جهود المسلمين وبطولاتهم في هذه الغزوة، ولا لتوصيهم بالصبر بعد أن قاموا بما عليهم وبذلوا غاية جهدهم، بل

ل(تراجع) المعركة وتشير إلى نقطة الخطأ بكل وضوح { منكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا} ، فالقرآن يشير إلى أنه كان بين المؤمنين – الذين بقوا مؤمنين وعفا الله عنهم مع تقصيرهم – كان بينهم من يريد الدنيا!! ومع أن ما حدث كان بإذن الله { وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ} مع هذا: أخبرت الآيات أن المصيبة كانت من عند أنفسهم { أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران:١٦٥].

– في غزوة تبوك: جاء قوله (تعالى): { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} [التوبة:٣٨] – في حنين: نزل قوله (تعالى): { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} [التوبة:٢٥].

– وفي غزوة بدر الكبرى: نزل قول الله (عز وجل): { كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ} [الأنفال:٥-٦].

ـ وفي سرية عبد الله بن جحش (رضي الله عنه) بصائر للذين يرفضون المراجعة في أوساطنا الإسلامية: لقد خرجت هذه السرية بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لاستطلاع أخبار قريش، فمرت بها عير لقريش وحدث اجتهاد خاطئ أخرج السرية عن مهمتها الأساسية إلى قتال مع هذه العير في آخر يوم من رجب، ورجع عبد الله بن جحش بالعير وأسيرين إلى رسول الله، فماذا قال الرسول (صلى الله عليه وسلم)؟

لقد قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام.

وحين نزلت آيات الوحي، كيف عالجت هذه القضية؟

لقد كانت آيات الله حاسمة: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة:من الآية ٢١٧] .

إن أول ما يتبين لقارئ هذه الآيات أن القرآن قد أتى بتقرير واضح بيَّن أن ما حدث كان خطأ ، بل وخطأ كبيراً { قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} تقرير للخطأ ومطاردة له بين صفوف المسلمين، ثم جعل القرآن هذا التقرير للخطأ

دماً جديداً في جسم المجتمع الإسلامي، وكشفاً وفضحاً لأعداء الله من المشركين، وبياناً لجريمتهم الأكبر { والْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} .

وفي غير سرية عبد الله بن جحش كانت المراجعة للخطأ –إذا وقع – هي طريقة القرآن، وكان الاستدراك له هو طريقة السنة:

وتكفي نظرة في القـرآن، وقـراءة لأخبار السير والمغازي لتأكيد ذلك وبيان أن المراجعة الدائمة والتبصير بالأخطاء هي طريقة القرآن والسنة .

المراجعة لدى الرعيل الأول:

وعلى طريق القرآن والسنة سـار الأئمــة من سلف هذه الأمة: فكان منهجهم الفكري وواقعهم العملي هو الحض على المراجعة والنقد الذاتي والدعوة إليهما، بل كانت هذه المراجعة هي صفتهم التي تميزهم عن أهل الأهواء كما أخبر عبد الرحمن بن مهدي أحد شيوخ الشافعية وغيره: " أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم".

ولذلك وجدنا أهل الحديث الذين أخذوا على عاتقهم المحافظة على سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يضعون أصول الجرح والتعديل، ذلك العلم الذي لا يخرج عن أن يكون لوناً من ألوان النقد الذاتي والمراجعة للرواة.

ويماثل الجرح والتعديل في الحديث، واجب "الحسبة"الذي يهدف إلى حفظ الشريعة والأخلاق في المجتمع الإسلامي، ويراقب فاعليتها في حياة المسلمين.

وهكذا وجدنا العلماء في كل عصر ينبهون على المغالطات التي تحدث في الأمة سواء أكانت من المبتدعة أو غيرهم.

وإذاً فالمراجعة والنقد الذاتي واجب شرعي لا يملك المسلم إزاءه اختياراً، وضرورة دعوية وحركية لمتانة الصف الإسلامي وصلابة الأرض التي يقف عليها.

ومن هنا وجب علينا أن يكون عندنا من رحابة الصدر وسعة الأفق ما يجعلنا قادرين على هضم الانتقادات والمراجعات ووضعها في مكانها السليم اقتداء بأئمتنا من سلف هذه الأمة.

حتى تنجح المراجعة ماذا يلزمها ؟

لكي تكون المراجعة والنقد الذاتي جزءاً من أعمالنا، وطريقاً إلى مواجهة ذواتنا بعيداً عن الاندفاعات والظنون، وسبيلاً إلى النمو السليم لأعمالنا لا بد أن يتوفر فيها عدة أمور، منها:

1- الإخلاص والكفاءة: حتى لا تكون المراجعة والنقد جهوداً عرجاء لا تمشي على رجلين لابد من شرطين أساسيين، هما: "الإخلاص" و "الكفاءة"؟!

* **فأما الإخلاص**: فهو إيثار الحق على كل الخلق في نقد الأعمال وتقويم المواقف، بحيث يكون شعار النقد { وإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا} .

* **وأما الكفـــاءة**: فهي امتلاك المعايير الدقيقة للنقد والمراجعة من الكتاب والسنة، والإحاطة بالواقع مع استحضار تجارب الماضي وخبرات السابقين. ولا يغني شرط من الشرطين عن الآخر ؛ إذ لو توفرت "الكفاءة" وافتقد "الإخلاص" تحول النقد إلى لون من ألوان الدجل الفكري الذي يضر أكثر مما يفيد!!

وأما إذا توفر شرط "الإخلاص" دون توفر شرط "الكفاءة" والقدرة على المراجعة والنقد: تحول النقد إلى لون من ألوان الألعاب الصبيانية التي لا تقوِّم اعوجاجاَ ولا تُصلح فساداً ..

2- نقد الذات لا نقد الآخر: الناقد الحق ليس من يرى القشة في عيون الآخرين، ويغفل عن العود في عينيه، وليس من يسكت عن الجرائم الكبيرة في فصيله الإسلامي، ويطارد الهفوات في الفصائل الأخرى، وإنما الناقد الحق هو من يعكف على الذات فيربيها على أمر الله ويأخذها بشرعته عز وجل ، تربية ميدانية من خلال "ممارسة" العمل الإسلامي و"معايشة"معاناته اليومية، و"استشعار" التحديات المحيطة به، فإذا فعل ذلك، كان نقده أداة تنظيف للوعي والخلق في فصيله الإسلامي –قبل الفصائل الإسلاميــة الأخـرى– ووسيلة من وسائل وقاية الدعوة والحركة الإسلامية من تراكم الأخطاء التي تنفجر في فتن مدمرة تأتي على كيان العمل الإسلامي!.

3- تحقيق الإصلاح لا ترسيخ الفوضى: من السهل أن ينقد إنسان عملاً ما أو يعدد المآخذ الكثيرة على موقف من المواقف، ولكن الاختبار الحقيقي هو: هل يملك هذا الإنسان القدرة على تطوير العمل الذي ينقده بحيث يرتقي به إلى الأفضل، ويفتح أمامه المجالات الأرحب والآفاق الأوسع؟ وهل يقدر هذا الذي ينقد موقفاً ما أن يوجهه إلى كيفية القيام بدور أكبر ووظيفة أشمل؟ هذا هو الاختبار الحقيقي!!

إن النقد الصحيح "بنَاء" و"مشاركة" تحيط بالعمل وتوجهه إلى الأفضل، وليس مجرد المعارضة التي لا تبتغي إصلاحاً، وإنما فقط تُرسخَ الفوضى.

4- تبادل النصائح لا تبادل التهــم :

النقد والمراجعة لابد أن يكونا في إطار من الحكمة والصبر، وفي أسلوب يضبطه قول الله (عز وجل): { وقُولُوا للنَّاسِ حُسْناً.. } وقوله سبحانه: { وجَادلْهُم بالَّتِي هيَ أَحْسَنُ} ذلك أن النقد موقف "نصح" لتبادل الآراء وَالأفكار، وليس موقف "عداء" لتبادل الشَتم والَضربَ!

كما أن النقد والمراجعة ليسا وصاية على الآخرين ولا إرهاباً لعقولهم، وإنما هما محاولة للتعرف على ما في ممارساتنا من خلل وخطأ للرجوع عنه، واكتشاف ما فيها من صواب للاحتفاظ به وتنميته.

5- علانية النقد لا إسرار النصيحة: تختلف طريقة مناصحة الفرد عن طريقة نقد ومراجعة أعمال الجماعة، فالأولى: يجب أن تتم في السر وإلا تحولت إلى لون من ألوان التشهير، وأما الثانية: فلابد أن تتم بشكل علني ليراها الجميع، ويقوم الجميع بتصويبها، إن النقد الذاتي والمراجعة ليسا مجرد النجوى المحدودة التي يقوم فيها الناقد بالإسرار بالأخطاء إلى أخيه المجتبى في خلوة حميمة، وإنما النقد إعلان مشهود عن الخطأ على رؤوس الملأ، إعلان يتمتع بصراحة الأسلوب، ووضوح الأفكار مع الاحتفاظ في ذات الوقت بالهدوء الضروري في محاصرة الظواهر السلبية حتى لا يضيف إليها النقد ظواهر سلبية أكبر وأخطر.

هنا قد نسمع مقولة يرددها بعضهم مفادها أن النقد بهذه الصورة يقود إلى الفرقة وخلخلة الصفوف الإسلامية؟!.

وبادئ ذي بدء، نحن لا نشك في "إخلاص" من يرددون هذه المقولة، ولكنا نعتقد أنهم كالأم التي تصل محبتها لوليدها إلى عدم تقويم سلوكه وتربيته على تحمل المسؤولية، فتصنع منه إنساناً عاجزاً هشاً، بل قد تؤدي محبتها له إلى موته لأنها تخشى أن تذهب به إلى الطبيب فيصف له دواء مراً وحقناً مؤلمة.

نعم، إن النقد الذاتي والمراجعة هما الدواء لعملنا الإسلامي من أمراضه، وهما التطعيم الذي يقيه – بإذن الله – من الإصابة بتلك الأمراض في المستقبل، وإذا كان لهذا الدواء بعض الآثار السلبية فإن هذا لا يعني أن نترك مرضانا بغير علاج حتى يفترسنا المرض ويقضي علينا.

فإن قال قائل: إن الفرقة ليست الأثر السلبي الوحيد، بل هناك ما هو أخطر، ذلك أن النقد الذاتي والمراجعة يكشفان عوراتنا أمام أعدائنا المتربصين!

قلنا: إن هذه المقولة تفترض في أعدائنا الغباء المحكم والجهل التام، بينما الحقيقة أن خصومنا يعرفون عنا ما قد يفوق –أحياناً – ما نعرفه نحن عن ذواتنا، لسبب بسيط وهو أنهم يعلمون أن في غفلتهم عنا سقوطهم، وهم حريصون على عدم السقوط.

إن التستر على الأخطاء بدعوى عدم خلخلة الصفوف أو تبصير الأعداء بمواطن الضعف هو في حقيقته الأمر الأخطر والمفسدة الأعظم ، ذلك أن دراسة الفشل تفيدنا أكثر مما يفيدنا نصف نجاح خدّاع يبقي على عوامل الفشل التي لا تُنْتِج في النهاية إلا السقوط والتوجه نحو السراب.

إن غياب المراجعة والنقد الذاتي تَسبب في كثير من المرات في خروج قطار العمل الإسلامي عن طريقه ليسير بطريقة عشوائية أو بغير سبيل وطريق دون أن يجد من يعدل انحرافه ويصوب أخطاءه حتى لا تتكرر الكوارث، ونكتفي جميعاً بالشكوى من تكرار الكوارث وتجارب الفشل، وكأن الشكوى هي العلاج!!

إن أي طريقة في العمل الإسلامي لا يجب أن تكون منديلاً على أعيننا يمنعنا من إعادة النظر فيها ومراجعتها في أي لحظة نريد، فإذا كشفت لنا مراجعتنا عن أخطاء ارتكبناها، فلنعلم أن الاعتراف بالأخطاء لا ينتقص من الذات وإنما يؤدي إلى تزكيتها، ويحول دون تدسيتها، وأن الندم على الأخطاء يكون دائماً هو الحافز على مواصلة السير بتصور كثر وضوحاً وأقل أخطاء.

إنه ليس من الصواب – ولا من الممكن – أن نعبر آفاق المستقبل ونخوض غماره دون أن نعي جيداً أحداث ماضينا ودروس حاضرنا، ولن نقدر على ذلك إلا عبر "المراجعـة" للماضي و " النقد " للحاضر .. ذلك أن هذا هو السبيل الأقوم لبناء المستقبل الأفضل ..

المبحث الثاني :

دعوها فإنها منتنة

تحوي الحركة الإسلامية المعاصرة عناصر طيبة من الدعاة المخلصين المتجردين العاملين من أجل الإسلام، ومع أن عمل هؤلاء الدعاة عمل جاد ومتواصل . إلا أن الفرقة والاختلاف بين أفراد الحركة الإسلامية تجعل جهود هؤلاء المخلصين تهدر دون الوصول إلى الأهداف المنشودة ..،وهذه هي المحنة الحقيقية ..

محنة الفرقة :

فقد أمرنا الله تعالى بالوحدة والائتلاف، ونهانا عن الفرقة والاختلاف فقال عز وجل : { واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا} وقال جل جلاله : { إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} وقال سبحانه وتعالى : { ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وجُوهٌ وتَسْوَدُّ وجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إيمَانِكُمْ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ... قال ابن عباس –رضي الله عنهما– : »تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة« وقال عز وجل : { ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} وغيرها كثير من الآيات تأمر بالائتلاف وتحذر من الفرقة .

بل قد حذر الله – عز وجل– هذه الأمة من محنة الفرقة وأنها هي السبب المباشر في هلاكها فقال عز وجل : { قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ويُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} .

وروى ابن كثير في تفسيرها بضعة عشر حديثاً في الصحاح، ومنها قوله – صلى الله عليه وسلم –: "سألت ربي ثلاثاً، سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها" .

وفي حديث ثوبان في صحيح مسلم . قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " إن ربي قال لي : إني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها – حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً " .

فالحديث يحمل بشرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأمة الإسلام أن أعداء الله لن يستطيعوا استئصالها ولو اجتمعوا عليها من جميع أقطار الأرض.. ولكن الهلاك الحقيقي في أن يتفرقوا فيقضي بعضهم على بعض ويهلك بعضهم بعضاً .

فالفرقة تجعل هلاك الأمة بيد أبنائها في سلاسل من الحروب في غير معركة، وانتصارات بغير عدو تحتوي الكدر للمخلصين وتهدر جهودهم ؟! .

وهذا في الحقيقة يجعل التفرق محنة حقيقية إذا نحن لم نقرر جدياً التخلص منها.. بل يجعل التفرق مصيبة نرجو الله –عز وجل– أن يجعل منها صلاح أمرنا..

واقع المحنة :

إذا كان ما نواجهه من فرقة محنة حقيقية، وكنا نتطلع إلى الوحدة والائتلاف فإن هذا يقتضي منا أن نخلع أنفسنا من عصبياتنا وننظر إلى واقعنا نظرة عدل وإنصاف، نظرة مجردة عن الأهواء والأغراض فلا نضع على أعيننا نظارة المصلحة الحزبية، أو نظارة الصراع على الزعامة والقيادة بل نترك واقعنا يحدثنا بما فيه دون رقابة أو تزيين، فماذا عساه يقول لنا هذا الواقع ؟

إنه يقول، إن الخلاف بين فصائل العمل الإسلامي قد تجاوز حدوده وآدابه وأحدث آثاراً سلبية تعاني منها المسيرة الإسلامية ويعايشها جميع أفرادها بمرارة، وهي آثار لا تختص بميدان من ميادين العمل الإسلامي دون ميدان . بل هي في كل ميادين العمل .. في الفكر .. وفي التربية.. وفي الحركة بل وفي أهداف العمل الإسلامي ذاتها ؟! .

1– في ميدان الفكر :

انحصر الإنتاج الفكري في كثير من الجهات في فكر المؤسس فصارت المؤلفات تكراراً لأفكاره أو شرحاً لها أو إشادة بتضحياته وجهاده . وأما مشكلات الأمة وحاجاتها القائمة فلا بحث عنها ولا عن حلها . بل أكثر من ذلك إذا قام بعض الأفراد من غير هذا الفصيل بمحاولة للبحث عن حلول لمشكلات الأمة أصبحوا هدفاً للاتهام بعدم الالتزام، والابتداع في دين الله مهما كانت منزلتهم العلمية أو تاريخهم الجهادي في الدعوة .

وكم من داعية تنحى عن طريق الدعوة بسبب هذا الإرهاب الفكري . وكم من جهود فكرية طيبة أهملت بسبب التعصب ، حتى هبط الفكر إلى الانغلاق والجمود .!!

2– في ميدان التربية :

حرص كثير من المربين على اجتذاب الأفراد حولهم وغرس مفاهيم الفصيل الذي ينتمون إليه في عقول الأفراد، وفرضوا حولهم ستاراً حديدياً يحول بينهم وبين الفصائل الأخرى وقد نتج عن هذه التربية الاحتكارية أن ترسخت في نفوس الأفراد مفاهيم خطيرة، من أبرزها شهود الأفراد في كل فصيل أن واجبهم الأول هو محاربة غيرهم ممن لا تتطابق نظرته مع نظرتهم وتطور الأمر إلى أن "من لم يكن منهم فهو عليهم" وتسبب ذلك في كثرة الفتن والخصومات، بل ربما الوشاية ببعضهم .

3- في ميدان الحركة :

على مذابح التعصب غاب مفهوم "الأمة الإسلامية" ليحل محله العصبيات للأفراد والفصائل، حتى أصبحت هذه العصبيات تفرق أهل المدينة الواحدة، ويعتلي داعية المنبر الذي كان يقف على مثله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلا يتحدث عن أعداء الإسلام وإنما يشن حملة مؤسفة ضد مسلمين مثله فلا يذكر عنهم إلا النقائص والعيوب ولا ينسب لهم مكرمة واحدة، وفي الجمعة الثانية يشن خطيب الفصيل الآخر حملة مماثلة ويرد الصاع صاعين !!.. وتصل الفرقة إلى حد المأساة عندما يتحول الخلاف إلى عراك حقيقي تسيل فيه دماء مسلمة شاهدة على السفاهة والجهل !!..

4- في الأهداف والغايات :

تعلق الكثيرون برموز فصائلهم حتى نسوا الهدف وأصبحت تلك الرموز هي الهدف في النهاية، هذه هي حالنا.. وهذا هو واقعنا في كلمات.. ليست كلمات ناظر يهوى الحديث عما يراه، أو يحب النظر إلى الحركة الإسلامية من علٍ ويملي عليها الدروس ولكنها معاناة فرد من أفراد الحركة الإسلامية يريد النصح لها ويحاول مع غيره من المسلمين رتق خرق الفرقة قبل أن يتسع على الواقع، وتنبيه إخوانهم إلى خطر الفرقة الداهم ليحاولوا تغيير واقعهم – واقع المحنة .

من يندم يتقدم :

ر بما قال بعض إخواننا أن ما ذكرناه في واقع المحنة يعد كشفاً لعورات الحركة الإسلامية بما يفيد أعداء الإسلام . وهذا في الحقيقة ليس صحيحاً وذلك لأن ما عرضناه ليس من الأمور التي تخفى على أعدائنا، بل على العكس من ذلك هم يعلمونها ويستفيدون منها ولهم أدوار خطيرة جداً في تكريس الخلافات بين الدعاة وزرع التناقضات بين المسلمين سواء عن طريق تضخيم الخلافات بتغطية أخبارها صحفياً، أو عن طريق إشعال نيران الفرقة بالمقابلات الصحفية لبعض قادة العمل الإسلامي وسؤالهم عن رأيهم بالآخرين!؟.

أو عن طرق أخبث بإقامة السدود أمام كل محاولة نقد أو مراجعة للأخطاء، وبتقييد الجرأة عل المصارحة والنقد الذاتي !!

ولذلك فإننا لا بد أن نتخلص من عقدة رفض النقد التي طالما سدت علينا الطريق لتطوير حركتنا، فبيان الحقائق مهما كانت ثقيلة ومريرة أجدى نفعاً من التهرب منها، والحركة التي تخشى أخطاءها ليست حركة صحيحة وإذا اكتشفت خطأً من أخطائها ثم التفتت عنه فالأمر أدهى وأمر؟!

فهل نشرح صدورنا للندم على أخطائنا فيكون ذلك الندم حافزاً لنا على مواصلة كفاحنا بشعور أشد رهافة بمسؤوليتنا، وتصور أكثر وضوحاً لجوانب الضعف فينا ولأخطائنا التي كانت سبباً في تخلفنا ؟! وهل ندرك جميعاً أن "من يندم يتقدم" ؟!.

الراجون رحمة الله :

لا شك أن سبب الاجتماع والألفة جمع الدين والعمل به كله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطناً وظاهراً . وسبب الفرقة ترك حظ مما أمر العبد به، ونتيجة الجماعة : رحمة الله ورضوانه وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة وبياض الوجوه .ونتيجة الفرقة : عذاب الله ولعنته وسواد الوجود وبراءة الرسول من أهلها . [1]

فالحرص على الاجتماع والائتلاف والموالاة العامة لكل المسلمين على أساس التقوى سبب من أسباب تنزل رحمة الله، كما أن نتيجة هذه الرحمة من الله أن تأتلف القلوب وتجتمع بعد الفرقة .

لقد كانت وحدة الأمة ورفع الفرقة هي النعمة الأولى التي امتن الله بها على المؤمنين فقال عز وجل : { واذْكُرُوا نعْمَتَ اللَّه عَلَيْكُمْ إذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بيْنَ قُلُوبكُمْ فَأَصْبَحْتُم بنعْمَته إخْوَاناً} ...

وكانت هي النعمة التي امتن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الأنصار حين قال لهم : "ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي" ..

ولذلك فالراجون رحمة الله : يحافظون على الجماعة وينبذون الفرقة ويطلبون رحمة الله بذلك فشعارهم "الوحدة والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف" .

والراجون رحمة الله : يوالون إخوانهم العاملين للإسلام ولاء عاماً، فلا يحكمون على فرد بمجرد انتمائه، ولا يحكمون على فصيل من خلال تحرك فرد من أفراده بل يوالون المؤمن من أي فصيل كان ويتعاونون مع فصائل أهل السنة وإن كان بعض أفرادها على غيرها .

وصفتهم التي تميزهم { أَشدَّاءُ عَلَى الكُفَّار رُحَمَاءُ بيْنَهُمْ} .

والراجون رحمة الله : يجعلون الحب في الله والأخوة فيه –عز وجل– بديلاً للجماعة الواحدة التي يأملون أن تكون في يوم من الأيام هي "الأمة" المتآخية المتحابة كما أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في قوله : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". ، فهم يرون في إخوانهم أنهم "جمال الدنيا والآخرة" ويعلمون أن "العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل" كما يقول الشافعي –رحمه الله– .

---

[1] ابن تيمية ـ الفتاوى ١٧/١

والراجون رحمة الله : لا يدعون أحداً للتخلي عن شيخه الذي علمه أو جماعته التي يتعاون معها، وإنما يريدون من كل عامل للإسلام أن يدرك أن شيخه وجماعته وسيلة لغاية هي الإسلام . ولذلك فلا بد أن يكون ارتباطه بشيخه أو جماعته بقدر كون هذه الجماعة أو ذلك الشيخ وسيلة إلى هذه الغاية على خير وجه.

والراجون رحمة الله : يعرفون لقادة العمل الإسلامي مقاديرهم ومراتبهم ولكنهم مع ذلك لا يعطونهم العصمة التي لا تكون إلا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– فهم يقدرونهم ولا يقدسونهم وهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم .

بل كما يقول ابن القيم " لا بد من معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ولرسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم ما جاء به الرسول فقالوا بمبلغ علمهم والحق بخلافها لا يوجب إطراح أقوالهم جملة وتنقصهم والوقيعة فيهم، فهذان طرفان جائران عن القصد وقصد السبيل بينهما، ألا نؤثم ولا نعصم، ولا نسلك بهم مسلك الرافضة في علي، ولا مسلكهم في الشيخين، بل نسلك مسلكهم أنفسهم فيمن قبلهم من الصحابة، فإنهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم ولا يقبلون كل أقوالهم ولا يهدرونها" [1]

فالراجون رحمة الله : يعلمون قدر كل رجل من رجال الحركة الإسلامية، فمهما كان عظيماً لا يتعدون به حد الرجل، وإذا أخطأ لا يقللون من قيمته وقدره . فلا يعصمونه عن الخطأ ولكن يبقون على مكانته وقدره وإن أخطأ . ذلك لأن " من له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً –كما يقول ابن القيم – أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين" [2]

والراجون رحمة الله : " لا ينتصرون انتصاراً عاماً مطلقاً إلا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصحابته –رضي الله عنهم– . ويعلمون أن الحق والهدى يدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا "كما يقول ابن تيمية .

دعوها فإنها منتنة :

إلى من ينفصل بطريق دون إخوانه ويعتقد أن مجموعته هي الوحيدة صاحبة الحق في الوجود في الساحة الإسلامية وهي الوحيدة صاحبة الفهم الصحيح للإسلام .. هذه دعوة للتأمل في قول الله عز وجل : { وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} وكيف قدم الله –عز وجل– إرادة التفرق على الاختلاف!!

---

(1) إعلام الموقعين ـ ابن القيم ج٢ ص٢٧٢ .
(2) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٢ .

وأخيراً أذكر فصائل العمل الإسلامي المتصارعة المتنافرة، المتناحرة بما حدث حين كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري : يا للأنصار، وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فسمع بذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : "ما بال دعوى الجاهلية" ، قالوا : يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال – صلى الله عليه وسلم – : "دعوها فإنها منتنة" رواه البخاري .

إن التعصب لجماعة والولاء لها، ورفض بقية الجماعات التي تنتمي لأهل السنة والجماعة ومعاداتها هي في حقيقتها دعوى جاهلية يقال لأهلها كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – للمهاجرين والأنصار "دعوها فإنها منتنة " .

المبحث الثالث :

تحت راية أهل السنة والجماعة

تواجه الحركة الإسلامية المعاصرة تحديات كثيرة، من خارجها ومن داخلها.. تواجه من خارجها مكر أعدائها وكيدهم، وتواجه من داخلها أمراض التعصب والهوى والجهل وإتباع الرؤوس الجهال، وما ينتج عنها من فرقة واختلاف!

فأما التحديات الخارجية فنستطيع أن نقول أنها فشلت سياسياً وأمنياً في إحراز أي مكسب على حساب الحركة الإسلامية المعاصرة!!

وأما التحديات الداخلية فهي – فيما نحسب – الخطر الحقيقي الذي يعوق مسيرة الحركة ويباعد بينها وبين أهدافها.

وبينما يختلف ا لإسلاميون في كثير من الأمور، إلا أنهم جميعاً متفقون على أن الفرقة والاختلاف هي آفة العمل الإسلامي المعاصر ، وهي الداء الذي يشل أية فاعلية ممكنة لذلك العمل الإسلامي .

ولا شك أن الوحدة والائتلاف بين العاملين للإسلام هي أمنية كل مسلم غيور، والذي يجعل تحقيق هذه الأمنية الغالية ممكناً هو أن ندرك متطلباتها ونعرف الأسس الصحيحة التي تكفلها.

ومساهمة في بيان هذه الأسس وتلك المتطلبات نضع بين أيدي إخواننا العاملين للإسلام هذا المنهج للائتلاف والوحدة كخطوة على طريق الوحدة الشاملة، ونأمل منهم تفهمه، ونقده، وترشيده .. بل ونطالبهم بتهذيبه والإضافة إليه بما يثري إيجابياته ويلفظ سلبياته، ويقرب من جدوى ثماره.

أولاً: أهل السنة وطريق الوحدة:

يدعو البعض إلى الوحدة والائتلاف بين فصائل العمل الإسلامي، فإذا سألته كيف؟ قال لك: إن هذه الجماعات أمة واحدة، والوحدة والائتلاف بينها تكون بانضمام هذه الجماعات إلى جماعتنا ؛ لأننا نحن أصحاب الفهم الصحيح !!، ولأننا نسير في الطريق الأصلح والأصوب، أو لأننا أكثر عدداً، أو غير ذلك من الأسباب؟!.

ولا شك أن التفكير في الوحدة بهذه الطريقة هو لون جديد من التعصب في ثوب الدعوة إلى الوحدة، ولا شك أننا لا يمكن أن نخطو خطوة واحدة في طريق الوحدة المنشودة بهذه الطريقة؛ لأن كل جماعة ستدعي أنها صاحبة الفهم الصحيح؟!

فما هي الجماعة التي يجب أن يلتزمها الجميع؟

إنها الجماعة التي ألزمهم بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث قال : " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة "، فقال الصحابة: من هي يا رسول الله؟ قال : "من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي". وفي رواية قال: "الجماعة ، يد الله مع الجماعة" .

فالفرقة الناجية هي الجماعة – وصفتها من كان على مثل ما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه. فالرسول – صلى الله عليه وسلم – حين سئل عن الفرقة الناجية بيّن الوصف الذي صارت به ناجية، بمعنى أنه – صلى الله عليه وسلم– بيّن الوصف الضابط للنجاة لأي جماعة بدون تخصيص لمن تقدم ومن تأخر، وهو وصف غير قابل للانقطاع في أي زمان كما قال –صلى الله عليه وسلم–: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم إلى قيام الساعة" .

وهو وصف إذا تحقق في فرد أو جماعة،كان ذلك الفرد أو تلك الجماعة من الفرقة الناجية " أهل السنة".. فالسنة راية مكتوب عليها " ما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه" وأهل السنة أهل الراية، وهم الطائفة المنصورة "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق" وهم الجماعة التي أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالتزامها..

وهي الجماعة التي ندعو فصائل الحركة الإسلامية إلى الالتزام بها،" جماعة أهل السنة" الجماعة العامة الواسعة،وهي تضم الآن كل من لم ينحرفوا عن طريق " أهل السنة والجماعة" إلى مناهج أهل البدع الضالين، تضم كل هؤلاء دونما شرط أن يجمعهم اسم واحد أو حزب واحد؟!

فنحن لا ندعو إلى جماعة جديدة أو اسم من الأسماء التي يتصارع عليها العاملون للإسلام وإنما هي دعوة إلى الانتماء لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– .

دعوة إلى الانتماء لجماعة " أهل السنة" الذين ميزهم دائماً اجتماعهم على الإتباع دون الابتداع فهم يمثلون الامتداد الطبيعي لما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم –، وراية " أهل السنة والجماعة" هي الراية التي ينضوي تحتها المخلصون أفراداً وجماعات، الراغبون في العمل من أجل الإسلام مهما كانت انتماءاتهم.. ثم نوزع فيما بيننا الأدوار، أدوار الأفراد وأدوار الجماعات لتقوم بمهمة التغيير المنشود.

ثانيا -كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة:

لا شك أن التوحيد بين الأطراف المتنازعة لا يكون على حساب المنهج السليم، ولا يكون على حساب التفريط في سلامة الأصول، وحرصنا على والائتلاف ووحدة الكلمة لا ينفعنا إن نحن فرطنا في وضوح كلمة التوحيد أو تساهلنا في اهتزاز أصولها، بل لو حاولنا ذلك –والعياذ بالله – وقعنا في الشقاق والفرقة من حيث أردنا الوحدة والائتلاف، ولذلك فنحن حين ندعو للائتلاف لا نعني الائتلاف مع أصحاب المذاهب المعادية للإسلام من علمانية ووطنية وقومية واشتراكية ورأسمالية وغيرها، ولا مع الفرق الضالة التي وصفها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والذين ابتعدوا وانحرفوا عن منهج أهل السنة، وهنا لابد من التفرقة بين هؤلاء وبين المختلفين من أهل السنة الذين وإن وقع بعضهم في تأويل فاسد ولكنهم لم يفاصلوا أهل السنة ولم يفارقوهم، فهؤلاء لا يخرجون عن مسمى أهل السنة، فيجب علينا دائماً أن نفرق بين من يتنكبون طريق الإسلام وينحرفون عن منهج أهل السنة وبين الذين يخطئون وهم يسيرون على هذا المنهج، فهؤلاء أحوج إلى التصويب والرعاية والحوار منهم إلى المواجهة والاحتقار.

ثالثاً - شرعية العمل الجماعي :

لا شك أن العمل الجماعي واجب شرعي، ولا شك أن ما هو مطلوب من الجماعات من إنجازات لا يقدر فرد أو أفراد متفرقون أن يقوموا به، ومن هنا فنحن لا ننكر العمل الجماعي من خلال جماعات أهل السنة العاملة في الساحة الإسلامية، ولا نريد أن يتخلى الأفراد عن جماعاتهم التي يتعاونون معها، ولكننا نريد من الجميع أن يدركوا أن ولاءهم لجماعاتهم يكون في. إطار ولائهم للجماعة الأم.. جماعة أهل السنة والجماعة، وأن لا يقدموا المصلحة المتوهمة لجماعتهم –الصغيرة على المصلحة الشرعية الحقيقية للجماعة الكبيرة.

فلا تُرفع أسماء ورايات يدعى الناس إليها، ويترك الأصل الذي ينبغي الدعوة إليه، ولا تكون هذه الأسماء داعية للتعصب لشخص دون رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ولا تكون هذه الأسماء هي ما يعقد عليها الولاء والبراء، بل الموالاة والمعاداة تكون على الإسلام، والدعوة تكون إلى جماعة أهل السنة.. وليس إلى جماعة فلان أو طريق فلان..

إننا في أمس الحاجة إلى دعوة مفتوحة عالمية لكل الأمة، والله عز وجل قد أنعم علينا وكفانا باسم الإسلام.. { هَو سَمَّاكُم المُسْلمينَ من قَبْلُ وفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهيداً عَلَيْكُمْ وتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} ..

ولذلك فنحن نقول لكل العاملين المخلصين : إن الأعمال الكبيرة لا يقوم بها فرد وإنما تقوم بها مجموعات متعاونة تعمل حسب خطة تكاملية مدروسة، ولن نستطيع الوصول إلى أهدافنا عبر أفراد، بل مجموعات منظمة تضمن استمرار العمل وتعطيه الفاعلية، فتعالوا نجتمع معاً لنكون مجتمعاً من صفوة المجتمعات وصفوة الأفراد.

رابعاً - قِلة تنقذ الموقف :

إن من القوا عد العظيمة التي هي جماع الدين تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، فالله تعالى يقول:{ فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَصْلحُوا ذَاتَ بَيْنكُمْ} ، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف.. وأهل هذا الأصل –كما يقول ابن تيمية – هم أصل الجماعة ..

ولذلك نقول أنه من الأمور الطيبة أن توجد في الساحة الإسلامية مجموعة واعية تتبنى فكر أهل السنة والجماعة، وتعمل على التقريب بين فصائل العمل الإسلامي من خلال إدخال المفيد النافع على من يحدثهم دون جدل، بل بالأدلة الموضوعية.

ولا شك أن وجود هذا الصنف من الدعاة هو المقدمة الصحيحة لتعميم مفاهيم أهل السنة والجماعة في كل العمل الإسلامي، وإزالة الحواجز بين العاملين للإسلام، بحيث لا يتحرج فرد من الانتساب إلى فصيل من فصائل العمل الإسلامي، والتعاون مع الآخر في الخير ؛ فيخرج بذلك جيل من الإسلاميين تتطابق أهدافهم في الحياة بدل أن تتنابذ، وتتكامل أفكارهم بدل أن تتصارع وتختلف؟!.

ولن تكون هذه المجموعة التي نتحدث عنها حزباً أو جماعة، وإنما هي بمثابة مدرسة تربوية تركز على تنظيف عقول أفرادها من المقولات الخاطئة المتعصبة، وتطهير قلوبهم ونفوسهم من الأغراض الشخصية، ثم مراجعة الأفكار وأساليب العمل المطروحة على الساحة الإسلامية، وهكذا يمكن أن تبرز حركة تجديدية إصلاحية، تتضافر فيها الجهود، ويهجر فيها الأفراد خصوماتهم.

خامساً - حوارات فعالة:

فلابد من حوارات مفتوحة مع كل الدعاة الصادقين، ولابد من تعارف فصائل العمل الإسلامي بعضها على بعض عن قرب والحذر من الشائعات، ومحاولة حل المشكلات من خلال اللقاء المباشر الذي يمحو الاختلافات التي يثيرها نقلة الأخبار ومثيري الإشاعات؟!.

ولنجعل من هذه الحوارات لوناً من ألوان الشورى حول مجموعة القضايا الأساسية في الدعوة، ولعل الله عز وجل أن يخرج منها جيلاً يهتدي إلى سبيل عودة أمة الإسلام، ويحدد مواطن الخلل ويكتشف الطريق الأصوب، ويجمع البصيرة إلى جانب البصر، ويلتزم منهاج الطائفة القائمة على الحق الحاملة للرسالة الخالدة " أهل السنة والجماعة ".

الخاتمة

ليس من الصواب أن يقدم أي فصيل إسلامي نفسه للمجتمع في صورة الوصي عليه ، وإنما الواجب أن يتقدم في صورة تيار فكري يستمد مشروعيته من قوة الحجة ووضوح البرامج ، فيدخل إلى المجتمع من أبوابه ، وليس من نوافذه أو شقوقه .. يدخل إليه من خلال يقظة عامة هي أكبر من تنظيم أو جماعة .. يقظة عامة تضم كل الذين ربطوا أنفسهم مصيرياً بالإسلام ، ولو لم يحملوا بطاقات حزبية .. و ترفض كل العناصر اللافعالة ولو حملت بطاقات حزبية ..!!

يقظة عامة وضعت لنفسها هدفاً واضحاً ، ثم وضعت لهذا الهدف دراسات موضوعية حازمة وصارمة تحاول الإجابة عن تساؤلات غاية في الأهمية .. من نحن ؟ وإلى أين نسير ؟ هل هناك خطة فعلية نسترشد بها للوصول إلي أهدافنا ؟ .. وإذا كانت الخطة موجودة فعلاً ؛ فكم تحقق منها ، وكم بقي على تحقيق الهدف النهائي ؟ .. إلى آخر هذه الأسئلة الكبيرة والمهمة ، والجديرة بالتأمل ، والتي تقود هذه اليقظة ـ بإذن الله ـ إلي حكم رشيد يدفع إلي تعميق الإيجابيات والتخلص من السلبيات ..

ومن هنا ، فإن من أهم مهامنا في الطريق إلي وحدة العمل الإسلامي ، أن نحذر في سيرنا إليه من الإنزلاق إلى مهاوي التعصب ، التي تدفعنا إلي تقديس مفتاح للتغيير ، واعتقاد أنه صالح لكل زمان ومكان ولكل باب .. بينما الحقيقة أنه يمكن إبداع ما لا حصر له من المفاتيح لمواجهة الظروف المختلفة من خلال التغيير في شكل المفتاح وحجمه وعدد أسنانه ..!!

إن الجماعات التي تدعو للإسلام لا يجب أن تبقي مراكز احتكارات له بعيدة عن جماهير الأمة ومنفصلة عن جسمها وهدفها .. بل لا بد لها أن تتفاعل مع الجماهير تفاعلاً حياً ، ليعمل الجميع للإسلام وسط كل الظروف ، ضمن إطار " عمل " وليس إطار " انتماء " ، فمن استطاع أن يمشي إلي آخر الشوط ؛ فرحنا به ، ومن استطاع السير قدراً يسيراً قبلنا منه ، ومن أعطانا نصرته فقط ؛ لم نستغن عنه ، ومن استطعنا تغيير خطئه ؛ لم نزهد فيه .. ذلك أن أقدار الناس تتفاوت ، والحياة شلال متدرج من الطاقات ..

إن الوحدة التي نريدها هي وحدة الطاقات ؛ فالبعض يملك القوة العددية والبعض يملك الكوادر والطرف الثالث يملك المال وآخر يملك طاقة أخرى وهكذا يمكن أن تتكامل هذه الطاقات وتتعاون في سبيل هدفنا الواحد.

و لا يساورني أي شك في أن قبول الآخر و التوفيق بين صور الفهم المتعارضة ظاهراً المتفقة حقيقة .. كل ذلك هو جزء من عملية التغيير التي نتطلع إليها .. وأنه لكي يحدث ذلك ؛ لا بد من إعادة قراءة الآخر ، وإعادة قراءة الواقع ، من خلال لغة جديدة هي " لغة الممكن المفتوح على الأمل " ..!!

ولكي نصل إلي هذا الأمل ، فإن سبيلنا إليه هو الممكن .. فإذا كانت الاختلافات بين الجماعات قد تجعل العمل في إطار الوحدة أمراً صعباً ، فإن " الوحدة في التنوع " لا تزال ممكنة حين ننطلق في علاقاتنا بمن يخالفوننا في اختياراتنا الفكرية ، من خلال احترام الاختلاف ، وامتلاك روح المراجعة التي تقبض على جذور الأفكار فتهزها من غفوة ، وتنشطها من إعاقة ، وتنفض عنها ما علق بجسمها من تراب الحزبية ، وركام الكسل والترهل ؛ فندرك أن اختلافنا مع الآخرين لا يعني فقدانهم مقومات العمل الإسلامي وخروجهم من دائرة المصلحة إلى دائرة المفسدة، بل الواجب علينا أن نستفيد من تجارب الآخرين ، ونجمع علمهم إلي علمنا ، وخبراتهم إلي خبراتنا .. لنتحرك جميعاً من خلال إطار عمل لا إطار انتماء ..

الفهرس